# الفصل الثالث

قال الشيخ :

ـ من النفس الكلية تبث النفوس الجزئية .

تساءلت :

ـ ما معنى البث ؟

ـ تكثف الذر .

ـ وهذا البث ، صدور أم خلق يا سيدي ؟

ـ ما أعلمه هو ما رأيته في الرؤيا . وأنا لن أحدثك عن شيء إلا رأيته في رؤيا ، وهذا ما يؤمن به الصوفية فقط . . الكشف في اليقظة والكشف في المنام . وإليك ما رأيته . رأيت صُوراً لشاب أسمر اللون . كانت الصور متشابهة ، وقيل لي إن صورة من هذه الصور ستهبط إلى تحت لتطبع في جريدة . وهنا برزت أمرأة ترتدي معطفاً من الفرو الأبيض قالت مشيرة إلى الصورة : ما دامت ستطبع في الجريدة فسألحق بها . وبدا على وجه المرأة أنها تريد بالصورة شراً ، كما أن كلبين أبيضين صغيرين كانا بالقرب منها .

ونظرني الشيخ متأملاً وتابع قائلاً :

ـ هل ترغب في أن تجرب حظك في محاولة لتعبير ما رأيت ؟

أجبت غاضاً طرفي :

ـ لا يا سيدي ، هذا ميدان لست فارسه .

ـ حسناً ، التعبيرَ هو أن الصور أجزاء نورانية موجودة في النور الأصلي ، أو قل في الماهية .

ـ وكيف تكون الصور في الماهية ؟ أفلوطين يقول إنها جزء من العقل ، أي أنها أفكار في العقل ، وليست أشياء مختزنة في العقل .

ـ بالطبع هي أفكار . ليس في الوجود يا بني باطناً وظاهراً غير الأفكار الإلهية . نحن نعّرف النفس أنها ناطقة ، ولقد ميزت النفس الناطقة عن النفس الحيوانية بالنطق ، والنطق فكر . فكون الإنسان إنساناً وتميزه عن الحيوان إنما كان بسبب فكره . فالنفس كما قلنا صورة ، والصورة فكر ، والفكر الهي . أفلوطين ذاته جعل أول الموجودات العقل الأول ، ووصف هذا العقل بأنه وجود .

إذن أول الموجودات العقل وهو فكر . والنفوس الإنسانية أفكار ، إذ لكل إنسان نفسه ، أي صورته ، أي فكره الخاص به ، وأصل هذه الأفكار كلها الفكر الإلّهي . فالنفوس كانت إذن أفكاراً في العقل الإلّهي ، ثم طبعت في صفحة الوجود المادي . فتشابهها حادث من قبيل كون الفكر فكراً ، والفكر واحد مع تشعب في الصور ، إذ الأفكار الجزئية مدرجة في أفكار كلية ، والأفكار الكلية مشتقة من فكر أول هو العقل الأول قلنا إنه الماهية . فكل النفوس كانت في الواحد فكراً ، ثم صارت في الكثرة كثرة مع احتفاظها بقوام ما هوي واحد بطن هذا الظهور المتكثر .

كل صورة ، يا بني ، لها بالواحد المشع إرتباط ، وهي بالتالي انعكاس لهذا الإشعاع . فالواحد موجود فيها كمصدر ومقّوم ، وهي محل للواحد باعتبار تجزئتها . وبالإضافة فإن التعين يحمل في ذاته نورانية صافية مع قابلية للانطباع في المادة ، ولهذا رأيت أن الصورة ستنزل إلى تحت ، أي ستفارق العالم النوراني المحض لتدخل العالم الظلماني ، أي عالم المادة ، وتنطبع فيه .

- سيدي ، الطبع بالذات يثير مشكلة فلسفية ، إذ لم يعرف حتى الآن ولم يحدد مدى علاقة الصورة بالمادة ولا كيف تحل فيها .

- الطبع يعني النسخ . الصورة المطبوعة هي نسخة عن الصورة الأصلية . ويقال الإنسان مطبوع على كذا أي أن صفته كذا ، ويقال الطبع تحت الروح ، أي أن الصفة تحت الروح أو منبثقة عن الروح ، والصفة النفس . فالطبع هو الغالب إذن ، أما المادة فمنطبعة بمعنى أنها قالب لقبول الصورة . فالجريدة ، أي الوجود ، لا قوام لها ولا شكل بلا صورة ، فالصورة مقومة . ويعجبني هنا قول أرسطو : ليس النفس جزءاً من المادة بل المادة جزء من النفس ، لأن النفس أعم وهذا صحيح .

- وما رأيك يا سيدي في ما قاله أفلاطون وابن سينا من بعده أن الصورة كانت في عالم علوي ، وأن هبوطها إلى العالم السفلي نفي ، وهو في حد ذاته شر . . وأذكر على سبيل المثال قصيدة ابن سينا في هذا الهبوط إذ قال :

هبطت إليك من المحل الأرفع — ورقاء ذات تعزز وتمنع
وصلت على كره إليك وربما — كرهت فراقك وهي ذات تفجع
فهبوطها إن كان ضربة لازب — لتكون سامعة بما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية — في العالمين فخرقها لم يرقع

جعل يهز رأسه مبتسماً ثم قال :

- لابن عربي في كتابه فصوص الحكم فصل عن العلو حيث يقول : ( من أسمائه الحسنى العلي ، ولكن على من وما ثم إلا هو؟ فهو العلي لذاته . . أو عن ماذا وما هو إلا هو ، فعلوه لنفسه ، وهو من حيث الوجود عين الموجودات ، فالمسمى المحدثات هي العلية لذاتها وليست إلا هو ) . والمهم أن قضية العلو والهبوط قضية اعتبارية فالوجود الأصلي والإضافي واحد ، والفصل بينهما اعتباري وهمي . فإذا قال أفلاطون إن النفس كانت في العالم العلوي فلأنها جزء من الماهية ، أي شعاعاً من الأشعة الالهية ، وهبوطها تعينها ، فالأمر بين الخفاء والظهور ، أو بين المكنون والمنشور . ففي عالم الواحد لا فوق ولا تحت

ولا نفي ولا طرد بل هناك ظهور إلهي في اسماء المحدثات .

قلت :

ـ ولكن الرؤ يا تشير بصراحة إلى وجود عالم الصور .

رمقني من زاوية عينيه ثم قال :

ـ أنت أفلاطوني . .

ترددت ثم ابتسمت ثم قلت :

ـ أجل ، أنا معجب بأفلاطون .

ـ لقد لاحظت هذا منذ بدء حديثك عنه وعن أرسطو . صحيح يا بني أن الرؤ يا تشير إلى وجود عالم الصور ، ولكن هذا الوجود كما قلنا منبثق عن الله . . ففي الذات الإلهية وجدت الصور بالقوة ، وعند التحريك تنتشر الصور أو الماهيات المطلقة . فلولا الله ما كان للصور أن توجد ، ولولا الصور ما كان للوجود الحسي أن ينصّب في المثل الحسّية التي ظهر فيها . ومشكلة الصور أنها عقلية صرفة ولهذا فهي بحاجة إلى أداة للتحقق العياني ، وهذه الأداة هي النفس الحيوانية وقواها ، ومن هنا قال ابن عربي قوله المشهور ( فيعبدني وأعبده ) ، فالله من غير العيان الحسي وجوب بحاجة إلى إمكان ، وبالتحقق العياني خرج ما فيه من ذخائر ذاتية . فالعملية مترابطة متداخلة متشابكة لا غنى لطرف فيها عن الطرف الآخر .

يا بني ما وجدت الصور إلا لتوجد أعيانها ، وما وجدت أعيان الصور إلا لفض بكارة الصور ، والأمر كله له غاية واحدة هي العلم ، وهذا العلم معرفة الله . قال سبحانه : ﴿ علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ وتدل الآية على أن في الصور معارف مختزنة قال أفلاطون إن من الممكن استخراج كنوزها بالتذكر . والكليات حاوية للعلوم بالفعل لأن مصدرها الأصلي إلّهي والله علم كله . وتصبح قضية المعرفة مرتبطة بشرطين وجود عالم حسي لإظهار الكليات عياناً ، إذ أصل الكليات نور ، والنور بلا ظلمة لا يرى على شاشة الوجود ، والشرط الآخر وجود المعرفة الفطرية الآلّهية المختزنة في الكليات والتي تساعد الجزئيات على

(١) الناشر : لنا تحفظ ازاء هذه العبارة .

إظهارها . فلا أفلاطون أصاب بقوله بالتذكر فقط ، ولا أرسطو أصاب لما قال أن المعرفة مرتبطة بوجود الجزئيات لتطبيق العملية الفكرية عليها والربط بين المقدمات والنتائج وصولاً إلى منطق عام . الأمر بحاجة إلى الوجودين العقلي والحسي . فالوجود العقلي وحده عاجز عن استخراج ما في بطنانه من علوم لحاجته إلى شاشة الوجود ، والوجود الحسي وحده عاجز عن الوصول إلى العلوم الكلية لافتقاره أصلاً إلى ماهيات فطرية موحية يضاف إليها وحي إلهي حاضر له مع الإنسان معية ويعلمه ما لم يعلم .

وسكت الشيخ ، وذهبت عيناه إلى مدى بعيد ، ثم عادتا ، وقال :

ـ بقي علينا أن نؤول ظهور المرأة ذات الفرو الأبيض وعليك أنت أن تحاول من جديد . . لا تخف ، أنا معك .

فكرت وقلت :

ـ المرأة النفس ، والفرو الأبيض صفة حيوانية ، والمجموع النفس الحيوانية تهلل وجهه . لقد أعجبه نجاحي في التعبير وقال :

ـ جيد ، هذا جيد .

وأغمض عينيه قليلاً ثم تلا قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ﴾ ، إذن لكل منا نفسان نفس روحانية ونفس حيوانية . وما معنى وجود الكلبين الأبيضين بجانب المرأة ؟

ـ إنهما القوتان الغضبية والشهوية .

هز رأسه مسروراً وأضاف يسألني :

ـ ولم بدا على المرأة أنها كانت تتوعد الصورة شراً ؟

قلت :

ـ في الفلسفة الكثير عن دور النفس الحيوانية . أفلاطون حذر منها وأرسطو دعا للاعتدال . إن للنفس حواساً يا سيدي ، ظاهرة وباطنة .

ـ والحذر هو من طغيان الحواس .

ـ أجل .

ـ سنتحدث عن عمل الحواس عند الحديث عن النفس الروحانية أو القلب أو الذات العاقلة في الإنسان .

ـ ولكن هناك قضية يا سيدي .

قالت عيناه ( ما أكثر قضاياك ) ، وسألني :

ـ ما هي ؟

ـ أفلاطون جعل للإنسان نفوساً ،عاقلة وحيوانية وغاذية أما أرسطو فلقد أنكر أن يكون هناك عدد من النفوس في الإنسان الواحد ، وآثر أن يقسم النفس ذاتها إلى أقسام ، قسم حيواني وقسم عاقل ، فما رأيك أنت :

ـ رأيي ما رأيته في الرؤ يا .

ـ الرؤ يا أشارت إلى وجود نفسين .

ـ طبعاً ، لقد ورد في كتاب الله ذكر النفس الأمارة والنفس المطمئنة ، كما وردت عدة تسميات للنفس فهي قلب وهي عقل وهي روح .

ـ ولكن سبحانه يقول : ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾ .

ـ حسناً ، لقد وصلنا إلى قضية الالهام ، فهناك فجور وهناك تقوى ، أليس كذلك ؟

ـ طبعاً .

ـ وكلاهما من عند الله .

ـ هذا ما تعنيه الآية .

ـ قال ابن عطاء الله : حرك عليك النفس ليحوشك بها إليه . يا بني النفس نور من أنوار الله ، ولله وسائط نورانية ليعلم بها ابن آدم سر الأسماء ، والنفس أحد هذه الوسائط . وفي الحديث أن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة ، فالنور والظلمة كلاهما حجاب لله ، والحجابان ضروريان للعلم . وفي الحديث أيضاً أن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء ، فقلب ابن آدم في قبضة ربه . والأمر كما شهدت في الرؤ يا ظهور وسيط نفساني

أصله نوراني سيكون له دوره في العالم الظلماني لإيصال ابن آدم إلى العالم الشعشعاني عن طريق تعليمه حقيقة تعاقب النور والظلمة على قلبه . فإن قلت النفس الحيوانية موجودة كان قولك صحيحاً ، وإن قلت هي وسيط نوراني ـ ظلماني كان قولك صحيحاً أيضاً ، وإن قلت وجودها وجود ضمني في النور القاهر كان قولك صحيحاً كذلك . والأمر في مجمله عائد إلى النور الذي هو نور لطيف ونور كثيف كما بيّنا في أول الأمر . فالهبوط إلى العالم المادي والوقوع في أسر الحواس ضرورة لازمة لإخراج مضامين الأسماء التي نقشت حقائقها في قلب ابن آدم ، ولا سبيل إلى فتح مغاليق هذه الأسماء إلا عن طريق عالم المادة وإليك كيف يتم ذلك .

رأيت في رؤ يا أني ركبت طائرة علت في الجو مسافرة ، ثم هبطت في مطار قرب مدينة اسمها مدينة السينما . . ثم وجدتني في مسرح وحولي جمهور من النسوة جعلن يتهامسن مشيرات إلي مرددات : هذا صوفي ، هذا صوفي . وعلمت أن النسوة مذيعات في الإذاعة ، فقلت لهن أحب بعضكن ولا أحب بعضكن الآخر . . ثم ظهر على المسرح الممثل نور الشريف وجعل يمثل . كان يمثل دوراً ثم يمثل دوراً آخر وكان يضع على وجهه قناعاً لكل دور يمثله ، بينما كنت أنا أكتب حتى انتبهت من نومي ، فما رأيك في هذه الرؤ يا ؟

قلت :

ـ اسم الممثل نور الشريف ملفت للنظر . إن له بموضوعنا علاقة مباشرة .

ـ هذا صحيح . . وبعد . .

تنهدت وقلت :

ـ ألم أقل لك يا سيدي أن هذا ميدان لست فارسه .

ـ حسناً ، إن ركوب الطائرة والطيران عروج روح العارف في عالم السموات . أما الوصول إلى مدينة السينما ، فالسينما دار الخيالة ، فنحن هنا في مقام الخيال ، وهو البرزخ أي عالم المعقولات ووجود جمهور من النسوة إشارة إلى الأسماء ، وأسماء الله كثيرة لا تحصى كما قال ابن عربي . والأسماء أفكار كما

قلنا ، وهي في النفس لأن النفس من نَفَس الرحمن . وأفكار النفس الخواطر ، وصنفت الخواطر إلى أربعة أصناف خاطر إلّهي وملكي ونفسي وشيطاني . والصوفي يصل بالاستبطان إلى التمييز بين الخواطر ، فكل رياضاته تركز في عالم الخواطر والتمييز بينها . وقول النسوة إني صوفي فهو الوصول إلى التوحيد . ففي الأسماء تضاد ، وكلها لله ، ولهذا قلت للنسوة أحب بعضهن ولا أحب بعضهن الآخر . فالصوفي عارف أن في النفس جنوداً منها جنود الرحمن ومنها جنود الشيطان وكلا الفريقين مقهور تحت سلطان الله فهو وحده القاهر فوق عباده . والمقام هنا أسمائي .

وظهور الممثل نور الشريف الوصول إلى مركز النور القاهر ، ودل عليه اسم الممثل كما قلت ، وكما قلنا فالنور القاهر سيد العالمين العلوي والسفلي ، الروحاني والمادي ، فهو أصل الوجود وسبب وجوده واستمراره . والظهور على المسرح إشارة إلى الاسم الظاهر فهو ظهور لله . والظهور يتم بالأسماء ، والأسماء صفات ، والصفات أفعال ، ولهذا وجدنا الممثل نور الشريف يمثل كل الأدوار ، فها هنا الوصول إلى مقام جمع الجمع ، أو الوصول إلى الواحد ، وهو النور المحمدي مرآة النور الآلهي . وهذا المقام هو كشف الذات ، والذات لا تكشف ولكن تشف عنها أسماؤها ، أو مراياها ، فنحن نرى في عالم الظاهر كثرة ، والحقيقة أن الكثرة أصلها وحدة وهذه الوحدة هي الواحد ، وهي النور الشريف الفاعل في الظاهر والباطن . . الظاهر ما ظهر من فعل على أيدي الخلق الظاهرية ، والباطن ما بطن من صفات هي بواعث الفعل الأساسية .

قلت للشيخ :

ـ لقد أثيرت ضجة قديماً وحديثاً حول النور المحمدي أو الحقيقة المحمدية كما يقول الصوفية . . بل إن الناقدين قالوا إن الصوفيين أبعدوا أكثر مما فعل المسيحيون القائلون بالآب والإبن والروح القدس والاقانيم الثلاثة. وأورد المنتقدون آيات تدعم اتهامهم وتفيد أن النبي هو بشر ، وأنه ميت مثلما أن البشر ميتون . . وقالوا إنه لم يؤثر عن النبيَ إنه قال شيئاً يؤيد مزاعم الصوفية عن كونه هو النور الفاعل والنور المحيط والحقيقة النارية في الأشياء وأنه أول ما خلق

الله باستشهاد الصوفية بحديث العقل القائل : أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقَبل وأدبِر فأدبَر . . بل إن الناقدين طعنوا أيضاً في الحديث النبوي القائل : كنت نبياً وآدم بين الماء والطين ، وقالوا إن هذا الحديث غريب أو ضعيف ، وصححوه بالحديث القائل : كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد وهذا يعني أن للنبي مكانته في عالم الغيب ، دون أن يعني الحديث شيئاً أبعد من الإرهاص بمكانة النبي . ويذكر الطاعنون أن الصوفية وحدهم الذين جعلوا للنبي هذه المكانة العجيبة التي كان سيرفضها هو نفسه لو سمعها في زمانه . . فما رأيك يا سيدي في هذا الخلاف والطعن ؟

ابتسم . . يا إلهي ، ما أجمل ابتسامة هذا الطفل الكبير ، هذا الملاك الظاهر في صورة بشر . إنه يبتسم فتخال وجهه بدراً منيراً أو وردة بلدية شديدة الافترار . لقد قال مشيراً بيده إلى موضع قلبه في صدره :

ـ أذكرك يا بني ما قاله الإمام الغزالي في الفلسفة والفلاسفة . يا بني ، لا حقيقة موثوقة في هذه الدنيا سوى ما أعلنه هؤلاء الأئمة الأعلام . أخلاقهم هي شهاداتهم قبل علومهم . ولما دعا النبي آل قريش خارج مكة وقال لهم لو قلت لكم إن وراء هذا الجبل خيلاً ستغير عليكم أكنتم تصدقوني، أجابه عمه أبو جهل : ما جربنا عليك كذباً . وكان لقبه عليه السلام الأمين .

وأخلاق الصوفية يا بني هي التي جعلتنا نثق بهم وبما يقولون . كان السهروردي رحمه الله بذ الثياب قليل العناية بمظهره حتى أن أحد الاغنياء أشفق عليه فبعث بغلام له مع صرة فيها ملابس ومال ليصلح بها شأنه ، فنظر السهروردي إلى الصرة وما فيها ، ثم أخرج حجراً كريماً أعطاه للغلام قائلاً : إذهب به إلى السوق وانظر كم ثمنه ، وذهب الغلام بالحجر إلى السوق وعرضه فإذا الناس يعجبون بالحجر حتى قوموا ثمنه بعشرين ألف درهم ، فرجع الغلام إلى السهروردي وأخبره بالأمر فأخذ السهروردي الحجر ووضعه في منديل ودقه بحجر حتى جعله حطاماً فأفسده . . ثم قال للغلام : إرجع إلى سيدك وأره مما آل إليه الحجر وكم بلغ ثمنه ، وقل له لو كان لدينا وقت لعنينا بمظهرنا ،

والغزالي نفسه شك في نظريات الفلاسفة لما رأى أنها تناقض بعضها بعضاً . يبني الفيلسوف منهم بنيانه ويجعله محكماً متماسكاً كاملاً على أساس من علم المنطق . . ثم يأتي فيلسوف آخر فينقض هذا البناء من أساسه ثم يقيم أمامه بناء آخر جديداً ويقول إن ما بناه هو البناء الصحيح وهلم جرا . وإذا كان واقع الأمر كهذا الواقع فأي النظريات الفلسفية هي الصحيحة ، وكيف بوسعنا أن نعلم أنها النظرية الصحيحة علم اليقين ؟ وما جعل الغزالي يعرض عن الفلسفة إلى التصوف هو إيمانه بأخلاق الصوفية . فكما أن الصحابة صدقوا رسول الله لأنهم تصفحوا أخلاقه فما وجدوا فيها ثلمة كذلك تصفح الغزالي أخلاق الصوفية فما وجد فيها ثلمة أيضاً ، ولهذا اتجه إليهم وقرأ عليهم حتى فتح الله عليه الفتوح فكان ما كان مما ذاقه وشهده وكشفه .

الطاعنون في الصوفية يأخذون عليهم ما قالوه في النور المحمدي أو الحقيقة المحمدية ، ويرد عليهم صوفي قائلاً : أخذتم علمكم ميتاً عن ميت
وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت . والصوفيون لم يأتوا بشيء من ٥
عندياتهم ، وإذا كان علماء الرسوم أنكروا عليهم شيئاً فلأن علماء الرسوم محجوبون ، محجوبون حتى بحجاب الشريعة . أما علمنا فهو من تركة النبي وفيه قال تعالى : ﴿ وعلمناه من لدنا علماً ﴾ فهو العلم اللدني ، والعلم اللدني هو الذي أثبت أن لنبينا هذه المكانة ولقد سبق أن قلت لك إنني لن أقول شيئاً إلا وقد رأيته في رؤيا ، ولقد تناقشنا من قبل في رؤى الصوفية ومكانتها واختلافها عن أضغاث الأحلام . وجوابي عن النور المحمدي هو رؤيا رأيتها .

وجدتني في الرؤيا جالساً في قاعة إلى جانب شقيقتي واسمها ليلى ، وخرج من باب يؤدي إلى مسرح قريب لي اسمه مطاع فأدار لنا ظهره وأعطى إشارة لفرقة موسيقية كانت تحتل مكاناً وراء حاجز على المسرح فجعلت الموسيقى تصدح . وقلت لشقيقتي أنظري هامة قريبنا ما أعظمها . وجعل القريب يقود الفرقة بالاشارة والحركات كما يفعل قادة الفرق الموسيقية عادة .

وسألني لما فرغ من قص رؤياه :

ـ هل تعلم من هو المطاع في كتاب الله ؟

قلت :

ـ إنها صفة رسول الله ، وقد قال سبحانه : ﴿مطاع ثم أمين﴾ .

فتابع هو قائلاً :

ـ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول . والرؤيا تشير إلى دور النور المحمدي . فالقريب اسمه مطاع برز من الباب ، والباب مدخل ، ومطاع هو قائد الفرقة الموسيقية ، والموسيقى أصوات . وواضح أننا ها هنا بصدد موضوع الخواطر التي هي أصوات . والرؤيا أثبتت أن الخواطر موجودة إشارة إلى الفرقة الموسقية المختفية وراء حاجز على المسرح . فالخواطر ليست صادرة عن النفس البشرية إذن وإن كان للنفس نصيب منها . ولقد قاد مطاع الفرقة بالحركات والإشارات ، والمعنى هنا عميق .. فلقد قلنا أن النور المحمدي هو النور القاهر ، فلا يصدر خاطر نفسي إلا بإذنه . دل على هذا علم الاشارة ورمز إلى هذا العلم بحركة الإشارة . أما إدارة ظهره إلينا فهو ظهور هذا النور في مقام كشف الذات ، أو ما يسمى بالواحد الصادر عن الأحد . وعظم الهامة تدل على عظم هذا الظهور الذي هو ظهور ملكي وملكوتي . ولقد شاهدت أنا بعين البصيرة في مقام المحبة إذ كنت جالساً إلى جانب شقيقتي ليلى ، وليلى اسم المحبة الإلٓهية ، وكونها شقيقتي إشارة إلى كوني مشتقاً من هذا الاسم أو الذات وكون الذات الإلٓهية معي أينما كنت .

وسكت الشيخ قليلاً وبان عليه أنه يفكر ثم تابع قائلاً :

ـ أذكر أيضاً أن العزف لما انتهى نهضنا مغادرين القاعة وكان الوقت ليلاً ، ووجدتني أقف أمام عامل مصعد يعمل في جريدة البعث ، فنظر العامل إلي وقال عني إني فقير لما رأى عليّ من ملابس ، وقل أيضاً إنني أشتري شهرياً فواكه بمبلغ ألفي ليرة فابتسمت قائلاً لنفسي لو علم كم أنا فقير ، ولكن ملابسي تستر حالي .. ثم دخلت المصعد وصعدت . والتأويل هو أن العارف يكشف له حقيقة الخواطر فيصبح في حل من أسرها ، وهذا معنى مغادرتي

القاعة بعد توقف العزف ، وفي هذا قال سبحانه ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ . ودل على الفكاك من أسر الخواطر وقوفي أمام عامل مصعد جريدة البعث ، والمصعد صعود أي معراج ، والبعث اليقظة الصوفية . والكشف الذي يراه العارف يدل على قدره ، فهو ليلة قدره . وبما أنني رأيت مطاع أي النورْ المحمدي فلقد بلغت إذن مقامه فصرت ممثله وظهوره وألبست أسماؤه وصفاته ولهذا قال عامل المصعد أنني أشتري فواكه بمبلغ قدره ألفا ليرة . . أما إسراري إلى نفسي أني فقير فكناية عن أن النور المحمدي فقير بذاته غني بربه ، أو ما يقال بلغة الفلسفة الصوفية ممكن في ذاته واجب بغيره ، فجهة هذا النور إلى الأحد الصمد جهة فقر وطلب مدد أما جهة الاعالم الامكان فهي جهة غنى ومد .

قال الشيخ هذا ، ثم نهض ومضى إلى خزانة فتحها وأخرج منها كتاباً عاد به ووضعه أمامي . . ونظرت فإذا هو كتاب مشكاة الأنوار للإمام الغزالي . . وسألني :

ـ هل قرأته ؟

قلت لا ، فقلب صفحاته ، ثم توقف عند صفحة معينة أشار إليها وقال : إقرأ ، وقرأت . ووجدت الغزالي يتحدث عن المطاع ودور المطاع في مجال الأنوار ، فأخذني العجب ، ونظرت إلى الشيخ متسائلاً فتبسم قائلاً :

ـ هل تصدق إذا أخبرتك أنني حين رأيت الرؤ يا عن المطاع لم أكن قد عرفت بعد كتاب مشكاة الأنوار هذا ؟

حدثتني نفسي بأنه يبالغ . . ومع هذا فإن نظرة يلقيها الإنسان على محيا الشيخ تجعله يثق بأن صاحبه لا يكذب ولا حاجة له في أن يكذب . . واستطرد هو قائلاً :

ـ ولما وقع في يدي كتاب الغزالي أصابني من الدهش ما لا سبيل إلى وصفه ، ثم وجدتني أخر على ركبتي ساجداً لله الذي كشف عن بصيرتي وأراني

ما رآه الإمام العظيم منذ حوالي ألف عام . فما قولك يا بني . . ما قولك في هذا الكشف النابع من حقيقة الأنوار ، والذي لا يتغير ماؤه مع مرور الزمان ، والذي يعلم الأولياء من لدنه علم اليقين . . العلم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .